3

التناص الديني في قصيدة
قميص بغدادي لعالم أبيض العينين
للشاعر جاسم محمد جاسم

شذى مظفر مال الله

ملخص البحث :-

إذا كان التناص مصطلحاً أجترح حديثاً فإنّ حضورهُ قديمُ قدَمِ الإنسان فالإنسان شاء أُم أبى يفرض عليه التراث مكتسبانه والمحتوى الثقافي لذاكرته , والذي يهمنا في هذا المجال هو التناص في حقل الأدب لأن الأديب في تناصاته يثرى نصه من خلال استلهام التراث سواء أكان أسطوره أو ديناً أو شعراً .

ولا شك أن مصادر التناص متنوعة تنوع التراث ولكن الذي لا بدّ أن نشير إليه , هو أن التناص قد يكون واعياً وقد يكون لا واعياً ولا سيما في تأثير العقل الجمعي كما يقول " يونغ" والتناص هو أن الشاعر المبدع يثري نصهُ ليوحد بين الماضي والحاضر مُؤانياً بينهما مكسراً أضلاع الزمن موحداً رؤيا الأمس برؤية اليوم .

والشاعر المبدع هو الذي ينتقي في تناصاته من التراث ويجعل رؤيته ثرة ويخرج من الفردي إلى الجماعي ومن الجماعي إلى الكوني . ونحاول في هذه المقارنة دراسة التناص الديني في قصيدة الشاعر جاسم محمد جاسم " قميص بغدادي لعالم أبيض العينين " ذلك لأنّ الدين يكون حاضراً في تصرفات الإنسان سواء على المستوى السلوكي أو القولي فالإنسان لا يمكن أن يعيش دون معتقد ديني يتكيء عليه ويخلصه من أسى الموت وشبح الزوال وقد قامت خطتنا على توطئة عرفنا بها التناص ثم بينا جذور التناص في الفكر النقدي العربي القديم والفكر النقدي الغربي الحديث ثم قدمنا خاتمة لخصنا فيها أهم النتائج .

وقد وجدنا من خلال قراءتنا أن الشاعر جاسم محمد جاسم واعياً في تناصاته مع القرآن الكريم والحديث النبوي متخذاً من النص القرآني متكأ لإثراء رؤيته ولا سيما مأساة بغداد ومالحق بها جراء الحرب عام 1991 مزاوجاً في أكثر الأحيان بين موضعين من القرآن الكريم متخذاً من سورة يعقوب مصدراً تناصياً كونها مأساة في بدايتها وانتهت بنتائج رائعة وبذا يكون الشاعر قد صور مأساة بغداد أبان الحرب ولكنهُ يحمل يقينيه مطلقة أن بغداد ستنهض وستنتصر فكانت سورة يوسف المعطى الأساسي أما في موقفه من السكونية العربية الإسلامية فقد اتخذ من آيات القرآن متكئاً يجسد هذه السكونية منفرداً في رؤيته عن الاخرين متضاداً معهم , ولم تكن تناصاته مع القرآن الكريم على مستوى المعطى اللغوي وإنما اتخذ من الوقائع الدينية معطى للإتكاء عليها وتجسيد رؤيته كما في إشارته إلى بدرٍ وأحدٍ وفضلاً عن كل ما تقدم فإن الشاعر قد يستذكر اسم سورة من القرآن الكريم , أو يأخذ تركيباً لغوياً محدثاً فيه بعض التغيرات مضيفاً إليها من أجل تجسيد رؤيته وختاماً إن ما قدمناهُ هو محاولة لا غير .

Summery

If intertextuality is a newly invented term, then its concept is as old as man. Man, whether he likes it or not, has to circumambulate it, his earnings, and the cultural content of his memories. What concerns us in this field is literary intertextuality,

because the writer in his intertextuality enriches his literary text through inspiration from the heritage, whether it is myth or poetry.

And the creative poet is the one who selects in his intertexts to agglutination and makes his vision rich and comes out from the individual to the collective and from the collective to the cosmic. In this comparison, we try to study the religious intertextuality in the poet Jassim Muhammad Jassim's poem "Baghdadi's Shirt for a White-Eyed Scholar" because religion is present in human behavior, whether at the behavioral or verbal level. A person cannot live without a religious adherent who leans on him and saves him from the sorrow of death and the specter of demise. Our plan was based on its collusion, by which we became acquainted with intertextuality, then we clarified the roots of intertextuality in ancient, western and modern Arab critical thought, then we presented a conclusion in which we summarized the most important results.

We have found through our reading that the poet Jassim Muhammad Jassim is conscious in his intertextuality with the Holy Qur'an and the hadith of the Prophet, taking from the Qur'anic text.

المقدمة :-

لا شـك أن النص اللاحق يتأثر بنصـوص تراثية سـابقة بأشـكالها كافة سـواء أكان منتج النص الحديث واعياً أو غير واعي ولكن الذي يهمنا أن يكون أثر التراث وحضوره في النص الحديث فعلاً ابداعياً ولا يتخذه المبدع من المعطيات التراثية حلل تزينيه أو أن يجترها اجتراراً أو يجعلها فعلاً تقريراً مباشـراً وقد وجدنا في قصـيدة الشـاعر جاسـم محمد جاسـم " قميص بغدادي لعالم أبيض العينين " مادة ثرة لدراسة التناص الديني فيها .

وقد قامت خطتنا على توطئة عرفنا بالتناص وملامح هذا المصـطلح في النقد العربي القـديم ثم تحـدثنا عن مفهوم التنـاص ودوره الوظيفي على وفق منظور النقـاد الغربين والعرب المحدثين .

ثم قدمنا قراءة للقصـيدة المذكور كاشـفين عن مواضـع التناص الديني فيها , وبعدها لخصنا النتائج التي توصل اليها البحث

التناص اصطلاحاً :-

دأب الدارسـون على أختلاف تخصـصـاتهم على العناية بمصـطلح التناص منذ ظهوره بوصفه " ممارسة تبرز عبرها قدرة الكاتب على التفاعل مع نصوص غيره من الكتاب وعلى انتاجه

لنص جديد " [1] فهو ظاهرة تمس العملية الابداعية , بل تحتويها وتوجه مساراتها ويشترك فيها الكاتب و " كفعل تغيير من قبل القارئ المطلوب منه إتمام الحلقة إنها تجربة تتابع دائري بطريقة تسمح بالقول إنه لا يتوقف عن الدوران حول كلمة – مفتاح – ووصول شكل مقتصر على حالة معروفة " [2] القارئ بدورهِ يشترك في نتاج نص جديد تقودهُ إليه الإشارات التي يحتويها النص وشكلهُ وهذهِ العملية الإبداعية تكون بشكل تتابع دائري (حركة دورانية).

التناص في النقد العربي القديم :-

لو عُدنا للمصادر النقدية القديمة لألفينا معاني وآليات ومرجعيات تنضوي تحت هذا المصطلح وإن اتخذت التسميات الأخرى (الأخذ , الاستمداد , السرقة) . وهذا ما نجدهُ عن ابن طباطبا العلوي مثلاً حين يطلب من الشاعر أن يديم النظر في الأشعار لتلتصق معانيها بفهمه , وترسخ أصولها في قلبه , وتصير مواد لطبعه , ويذرب لسانه بألفاظها , فإذا جاش فكرهُ بالشعر أدى إليه نتاج ما استفاد مما نظر فيهِ من تلك الاشعار [3] والغاية من هذهِ العملية هي تناول المعاني المشتركة وتلبيسها بقناع يخفى على القارئ لها , وهذا يتفق وفكرة التناص المخفي , فالناقد عليه أن يستحضر مخزوناً ثقافياً خصباً في التعامل مع النصوص , وعبد القاهر الجرجاني في حضه للشاعر " أن يرتب المعاني في نفسه , وينزلها ويبني بعضها على بعض " [4] فإنه تمكن أن يصنع صورة جميلة حتى لو كان المعنى مبتذلاً .

إن أراء نقادنا القدامى تؤكد لنا أنها تصب في بوتقة مدلول التناص مع عدم معرفتهم للمصطلح فقد عرفوا الآليات والمرجعيات وأدركوها ... والآليات لديهم هي تلك الأساليب البلاغية (التضمين الاقتباس) وهو " أخذ لفظ أو معنى وتنسيقهُ داخل النص الجديد لغايات متعددة كالاستشهاد أو التشبيه أو التمثل أو سوى ذلك" [5] . ويتم ذلك تصريحاً أو تلميحاً مما يبعد منه السرقة فضلاً عن آليات أخرى مثل (القلب , التلميح , التصريح) , نقل المعنى من جنس إلى آخر , نظم المنثور , الإيجاز) [6] أما المرجعيات فقد حصرها ابن طباطبا في النثر والقرطاجني في النظم والنثر والتاريخ [7].

التناص في النقد الغربي :-

يعود الفضل في الريادة لـــ(جوليا كريستيفيا) اذ اعتمدت نظرية باختين (الحوارية) التي تنص على أن الحوار لا يقع بين المتحاورين وحسب وإنما يحدث بين النصوص أيضاً , إذ يحاور

---

(1) الرواية والتراث السردي , سعيد يقطين : 17 .
(2) مفهومات في بنية النص , مجموعة باحثين (جورج مونات , ترتسمانس , سموفيل) تج : د. وائل بركات : 106.
(3) عيار الشعر , ابن طبا طبا (ت 322 هـ) تج : د . محمد زغلول سلام : 24 .
(4) دلائل الاعجاز , عبد القاهر الجرجاني : 30.
(5) ماهية التناص , عبد الستار جبار الأسدي , مجلة الرافد , ع 31 – لسنة 2000 : 17 .
(6) عيار الشعر ابن طباطبا :112- 118.
(7) م . ن : 113.

الخطاب " تلك البيئة المكونة من الكلمات الاجنبية المتهيجة بالحوارات , المتوترة بالكلمات والأحكام والنبرات الغريبة , ثم يندس بين تفاعلاتها المعقدة , منصهراً مع البعض , ومنفصلاً عن البعض الآخر , ومتقاطعاً مع فئة ثالثة من تلك العناصر " [8] ويشير إلى أن كل تعبير لا بد أن يرتبط مع نصوص أخرى ويتقاطع معها بصورة ظاهرة أو خفية باستثناء عالم آدم بوصفهِ "عالماً يتسم بالعذرية ولم يكن قد تكلم فيه وانتهك بوساطة الخطاب الأول " [9] إن التناص قائما في كل خطاب يتقاطع مع خطاب آخر ليشكل تفاعلاً يقوم على (تبادل الحوار) [10] إذ "تعد العلاقات التي تربط تعبيراً بآخر علاقات تناص" [11]

أبدى جيرارجينيت عناية كبيرة بالتناص في بداية الثمانينيات من خلال مشروعه النقدي في دراسة أوجه العلاقات النصية وإعطاء كل منها مصطلحاً خاصاً [12] ووضع خريطة شاملة لعلاقات تداخل النصوص , حيث يقدم فيه الأدب على أساس أنه تناول ثانٍ للنصوص التي يخترق بعضها البعض وهي إضافة جديدة لدراسة علاقات النصوص ومحاولات جديدة لتحديد أنواع العلاقات النصية داخل النص .

أما لوران جيني ... فيعرف التناص بأنه " عمل تحويل وتشرب (استعادة وتمثل) لعدة نصوص يقوم به نص مركزي يحتفظ بمركز الصدارة في المعنى " [13] ويؤكد جيني على النقطة المركزية (البؤرة المركزية) التي تنصهر فيها النصوص فتضيء النص الجديد (المتناص) وتصبح تابعة له لأنها جزء منهُ فما يحدث ليس مجرد إحالة على نصوص أخرى وحسب بل أعقد من ذلك إنه تحويل وتمثيل للنصوص الكاملة في البؤرة التي يصعب معها الارجاع والإحالة فالتوصل إلى المعنى المتموضع في النقطة المركزية يتم وفق مراحل عدة إحالة ثم تمثيل للنصوص التي تحتويها البؤرة المركزية .

التناص الديني :-

إن قارئ القصيدة قيد الدراسة نجد أن التناص الديني حاضرا فيها من العنوان و المتن واذا كان العنوان عتبة نصية في منظور قسم من النقاد , فإن عنوان النص في دراستنا يحيل ذاكرة المتلقي إلى " قصة يوسف عليه السلام " في موضعه الأول إرسال القميص آ

﴿ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣ ﴾[14].

([8]) الخطاب الروائي , ميخائيل باختين , نج : محمد برادة : 44 .
([9]) المبدأ الحواري دراسة في فكر ميخائيل باختين , تودوروف تج , فخري صالح : 84 .
([10])المبدأ الحواري دراسة في فكر ميخائيل باختين , تودوروف تج , فخري صالح : 82 .
([11]) م . ن : 82 .
([12]) ينظر : تداخل النصوص في الرواية العربية حسن محمد حماد : 29 .
([13]) مملكة النص التحليل السيميائي للنقد البلاغي الجرجاني أنموذجاً د. محمد سالم سعد الله :24
([14]) سورة يوسف , الآية : 93

والثاني وأبيضـــت عيناهُ من الحزن إلا أن النص لا يجتر الآية القرآنية ودلالتها وإنما ينحرف عنها ليتشـــكل الانحراف الأول في تعبير " قميص بغدادي " إذ حلت الصـــفة " بغدادي " لتظيئه وتعريف القميص بوصـــفه نكرة وهذا التوصـــيف يعطي القميص صـــفة ايجابية أما في النص القرآني فإن القميص عُرف من خلال علاقة التضايف (قميصي) دون أية إشارةٍ بالسلبي أو الايجابي للقميص إلى جانب أن القميص مرســـل إلى عالم أبيض العينين فتركيب الجملة هو في الحقيقة كالاتي :(قميص بغدادي أرســـله لعالم أبيض العينين) فهناك فعل محذوف تقديرهُ (أرُسلَ) علماً أنّ المعطى القرآني أشار إلى أن حامل الرسالة هم أخوة يوسف , أما في عنوان النص فحامل الرســـالة مجهول وهذا يعطي بعداً دلالياً للعنوان وانحرافاً عن المعطى القرآني إنّ تغيب حامل الرســـالة في النص يوحي إلى أن المنتج يعاني من حيرةٍ كون الأداة التوســـطية غائبة هذا على المستوى الدلالي , أما مستوى الانحراف فالقميص المرسل إلى الأب " يعقوب " في حين أن المرسل إليه في العنوان هو العالم ذو العينين البيض وبذلك خرج الشـــاعر من الفردي إلى الجماعي والكوني لعالم " ابيض العينين" وإذا كانت الآية القرآنية تحمل طابعاً مقصـــدياً من تحقيق مهمة القميص إذا جاز التعبير فإن مهمة القميص البغدادي لا تملك ذلك الطابع المقصدي فضلاً عن أنها تحمل دلالات متعددة منها التوسل فالشاعر يريد أن يتنبه العالم لمأساة بغداد أو أنه يحمل طابعاً توصيفياً للعالم الذي تجاهل مأساتها فالعمى العالمي ليس عمى حقيقياً وإنما فعل تجاهلي من قبل العالم عما أحاق ببغداد من فعلٍ تدميرٍ ونلحظ التناص الديني في موضع آخر, إذ يتناص الشعر مع الحديث الشريف " اللهم وضئني بالماء والبرد" [15].

إذ يقول الشاعر :

يا لاهـــب القلب مـــا آخيـــت عافيـــةً

هـــلاّ توضـــأتَ بعد النـــار بالبـــَرَدِ ؟

ولكن هذا التناص ليس تناصاً اجترارياً إذ انحرف الشاعر عن الحديث النبوي من خلال التركيب الذي غاير الدلالة في الحديث النبوي, فمضـــمون الحديث مضـــموناً دعاي , أما في النص الشـــعري فهو أســـلوب طلبي يحمل معنى العرض " هلاّ " وكأن الماء والبرد متيســـران إلى جانب أن حضـــور لفظة " النار" توحي بالتغيير العقيدي فالنار في بعض الديانات هو رمز للتطهير [16]. فهي أداة تؤدي ما يؤديه الماء في الوضـــوء ولكن الشـــاعر ســـلب النار طابعها الايجابي بل جعلها من مُنقضـــات الوضـــوء , إذ جاء التطهر بالماء والبرد تالياً لمس النار (بعد النار بالبرِدِ) ومرة أخرى يعود النص ليحيل ذاكرة المتلقي إلى قصة " يوسف عليه السلام " وسجود الكواكب لهُ

([15]) صحيح مسلم , تأليف : مسلم بن الحجاج النيسابوري , تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة , ط 1 ,1955 رقم الحديث (589).

([16]) المرجعيات الفكرية والفلسفية للديانة الزرادشية وتأثرها بالديانات السّماوية .

Ias<https://iasj-net

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ ﴾[17].

إذ تحضر مفردات لغوية تحيل إلى هذه الآية في قول الشاعر :

أنــي رأيت لك الأقمارَ ساجـــــدةً

تتلو إذ جاء نـصر الله فابتغـــــــدِ

إنّ انحراف البيت الشعري عن المعطى القرآني واضح فالمخاطب هنا " بغداد " فضلاً عن أنها ليست التي رأت سجود الكواكب لها وإنما الشاعر هو الذي رأى فعل السجود لبغداد وهذا التعبير تعبير مجازي يوحي بقداسّة بغداد ومكانتها العلوية إلا أنها في العالم الأرضي تعاني ما تعانية من هجمات شرسة عدوانية فهي تعيش حالة مزرية يوحي بهذا حضور التعبير القرآني

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ ﴾[18]

فنصر الله لم يتحقق بالنسبة لبغداد على العكس من المعطى القرآني الذي يوحي بأن النصر قد تتحقق يوم فتح مكة وطالما ان النصر الألهي لم يتحقق بالنسبة لبغداد فإنها تعيش حالة من الظلم والاستيلاب كما يوحي جواب الشرط " فا بتغدِ " فالتبغدد يعني الدلال والرفاهية والفرح وبغداد لا يمكنها التبغدد لأن نصر الله لم يتحقق بعد وعلى أية حال فإن النص يفارق المعطى القرآني لأن " يوسف عليه السلام " في النص القرآني يجهل فحوى رؤياه على العكس من الشاعر الذي يعي قداسة بغداد ورؤيته رؤية واعية فعلى وفق منظورهِ بغداد مكان مقدسّ دنسّه العالم الارضي عندما تعرضت للاجتياح.

ونجد الحدث اليوسفي حاضراً في قول الشاعر :

وصـوت يعقوب رغم القصف يهتف بـــي

إياك أن تقصـص الرؤيـا على أحـدِ

فقصة الرؤيا ويعقوب هي إحالة إلى قصة " يوسف عليه السلام" في القرآن الكريم ولكن الشاعر انزاح وانحرف عن المعطى القرآني " فيعقوب عليه السلام" خاطب يوسف عليه السلام مباشرة بأن لا يقصص رؤياه على أخوته الا أننا نجد في النص صوت يعقوب بعيداً والصوت موجه للشاعر لا يوسف والدليل على هذا حضور الفعل (يهتف) فهو في الثقافات القديمة صادر من قوى عليا هذا إذا تذكرنا صوت الهاتف الذي دعا اوديب إلى هجر كورنثة[19]. إذن هناك مسافات مكانية بعيدة بين الشاعر وبين يعقوب وهذا الصوت لا يحدث في أجواء ايجابية وإنما

([17]) سورة يوسف , الآية : 4.

([18]) سورة النصر , الآية : 1.

([19]) مسرحية أوديب ملكاً : سوفوكليس رابط ملتقى طلاب جامعة دمشق .

jamaa.Net book. Library/https:/jamaa.net

لأجواء يخيم عليها الرعب صوت القصف وعلى الرغم من صوت القصف تبقى بغداد مقدسّة وشامخة عالية والشاعر ينحرف من الخطاب القرآني إذ وجه يعقوب في القرآن " يوسف" أن يحجب رؤياه عن أخوته فقط في حين أن يعقوب الشعري " إياك أن تقصص الرؤيا على أحدِ " النهي في النص القرآني يتحول إلى تحذير (إياك) فمساحة القص مباحة ليوسف في المعطى القرآني باستثناء أخوته في حين تحذير يعقوب في النص الشعري لا يمنح القاص الشاعر سرد رؤيته على الجميع " إياك أن تقصص الرؤيا على أحدِ "فالكل يجب أن يحذر منهم الشاعر لأن الكل هم يرون في الشاعر صوتاً مقلقاً في توجهه وثقافته كونه يرى في بغداد مكانة أعلى من يد القصف والتدمير ويرى أن بغداد ستبقى وستنتصر فالعالم كله لا يريد لبغداد على وفق منظور الشاعر أن تنهض وأن تعود إلى زمنها الأول ولكن الشاعر متيقنٌ من هذا إذ اتكى على المعطى الديني مؤكداً قداسّة بغداد ولا بدّ لها أن تنهض وتعود لسابق عهدها.

ويتجلى التلاقح الديني في النص القرآني ونص الشاعر بقولهِ .

من الف عامٍ وأهلُ الكهف في دمِكـــــم
وكلبُكم نائمٌ والناسُ في رَصَـــــدِ

إذ يحيل التعبير أهل الكهف ذاكره المتلقي إلى قصة أهل الكهف كما جاءت في القرآن الكريم ولكن أهل الكهف في نص جاسم ليسوا أهل الكهف الذي أوردهم القرآن الكريم فهم لم يحلوا في الكهف , وإنما حلو في الدم وأقول بالدم هنا دلالة على عجز الأمة العربية الدفاع عن ذاتها وكينونتها فهم يمارسون نشاطاتهم الفيزيائية الذاتية لكنهم نائمون عن ترصد الأعداء فضلاً عن ان دماءهم باردة لا يمتلكون النخوة والمحاولة في الدفاع عن وجودهم وعن مبادئهم ولهذا السبب قال دمكم ولم يقل فيكم إنما اختار الدم كما في الثقافة العربية هو مصدر للثورة ونقول دمهُ حار أي شجاع ومقاتل يغضب ولا يرضى بالذل ولهذا أحل الدم محل الكل فالعرب كما أسلفنا يمارسون نشاطاتهم الفيزيائية ويعيشون ويتواصلون دون أي حس بالهوان والظلم وإلى جانب هذا فإن الكلب عن أهل الكهف جاء بوصفهِ حماية إذ يشير القرآن الكريم

﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨ ﴾[20].

فهو حارس ولا يشير إلى أنه نائم ولكن الشاعر انحرف عن هذا الكلب الذي يؤدي دور حماية إذ تحوّل في النص الشعري إلى كتلة لا فائدة منها كون النوم طاغٍ عليه ونوم الكلب لا يقوم بدورهِ المسند إليه هو حماية أهل الكهف فعندما يحضر النوم يبطل فعل الحماية ولعل الشاعر في النص الشعري أحدث مغايرةً أخرى للقرآن الكريم إذ أشار إلى أن المدة الزمنية ألف عام , والمدة الزمنية أقل من ألف عام في نظر المؤرخين أما في نظر أهل الكهف فهي يوم أو بعض يوم في

([20]) سورة الكهف , الآية : 18 .

حين ان مدة بقاء أهل الكهف في دم المستكنين بدأت منذ ألف عام ولم تنتهي وهي قابلة للاستمرار زمانياً وهذا يعني أن السكونية العربية سكونية بدأت من ألف عام وبقيت إلى حد الان سكونية مستتبة على العكس من أهل الكهف الذين تواروا منذ عدة قرون ثم أفاقوا , أما غفوة العرب فهي غفوة دائميه إذ لم تحدد نهايتها في النص الشعري , إن حضور أهل الكهف جسّد السكونية العربية تجسيداً رائعاً فأهل الكهف لا يؤثرون وبقوا ساكنين في أماكنهم والعرب ساكنون لا يدافعون ولكنهم يختلفون عن أهل الكهف في أنهم مجال للإمكانية ولتحقيق رغبات الأعداء , ولعل الإشارة منذ ألف عام إشارة إلى سقوط الدولة العباسية على يد هولاكو إذ انتهت الدولة العربية بسقوط دار الخلافة ولازالت تلعق جراحها إلى يومنا هذا .

ويجسد الشاعر حسهُ المأساوي وهو يخاطب التأريخ مستعيناً بالمعطيات القرآنية إذ يقول

مولاي لَفّوا على جيدي حِبالَ أسًى
ما يفعلُ الجيدُ من حبلٍ من المَسَدِ؟

فالشاعر يحيل ذاكرتنا إلى شخصية إمرآة أبي لهب التي قال عنها القرآن الكريم آ ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥ ﴾ [21].

فحبل المسَد التعذيبي يكون لتلك المرأة يوم الآخرة , ولكنه في النص الشعري حبل مسد في الدنيا فإذا كانت المرأة تفعل فعلاً سلبياً تجاه المسلمين فإن الشاعر جراء معاناته بما يحل آنذاك وكأنه قد قُيد بحبل مسد والملاحظ أن الحبال كانت في الشطر الأول هي حبال أسًى وهي حبال ليست حبال حقيقية أو حبال إذا جاز التعبير ملموسة وإنما حبال أسى والأسى هنا معنوي فالشاعر جسّد المعنوي بالحسي فهو مخنوق تلتف حولهُ الحبال حبال الأسى لتتحول هذه الحبال إلى حبال تعذيب فآسهُ يعذبه ولذا استحضر صورتين لشخصية سلبية هي شخصية زوج أبي لهب ليجعل مطابقة بينها وبينه من ناحية العذاب لا من ناحية التوجه فالشاعر يعاني معاناة كبيرة جراء سكونية الأمة وما أحاق بها أما امرأة ابي لهب . فهي تعاني في الآخرة جراء فعلها الدنيوي ولكن الابداع الشعري الغى هذه الفواصل وخلاصة القول أن الشاعر يعاني معاناة شديدة تماثل معاناة تلك المرآة بل تطابقها في الآخرة أن الشاعر يعاني في دنياه وفي موضع آخر نجد أن التاريخ يُسأله والآخرون غافلون ساهون وهذا ما ولدّ عندهُ الاسًى أن سكونية الآخرين تمثل حبال تخنق صوت الشاعر الطامح لاسترداد المجد والعزة , لم يجد الشاعر سوى الاتكاء على المعطى القرآني قالباً السلبي إلى الايجابي .

إمرآة ابي لهب في الآخرة حضرتْ في النص القرآني من خلال حبل المسد ولكن عذابها آلهي في حين أن الشاعر يعاني من عذاب دنيوي مصدرهُ الآخرين الذين بصمتهم ومحاولاتهم لكبح

([21]) سورة المسد , الآية : 4 , 5 .

طموحه وتشوقه إلى الحرية ما ثلوا بفعلهم وضع حبل مسد في جيد الشاعر هذا إذا ما تذكرنا أن الجيد هو المكان الذي من خلاله يستطيع الشاعر التلفت والتلفت يعني التأمل فهم منعوا عنه التلفت والنظر لِما حوله أي تأمله وطموحه . كما أن الرقبة هي الجزء المسيطر على أجزاء الجسم كافة فالحبل لا يشمل الجيد بل شمل الجسم بأكملهِ.

ومن خلال معرفة الشاعر بالتاريخ يقف الشاعر حائراً بين ما كان وما هو كائن إذ يصف ما كانت عليه الامة العربية في ماضيها المجيد وبين ما كان وبين ما أصبحت عليه والشاعر يلجأ إلى التاريخ مسائلاً عن هذا الانكسار .

مـــاذا أقولُ لتأريخٍ يُـــسائلني

متى تـــبرّأتَ مـــن بَـدْرٍ ومن أحُدِ ؟

إن حضور واقعتي بَـــدْرٍ وأحُدٍ في النص الشعري تؤكدان ضعف الأمة في حاضرها على العكس من ماضيها فبدر كما معلوم تاريخياً أول معركة دارت بين المسلمين والمشركين وانتصر فيها المسلمون , أما أحد فكانت انكساراً عسكرياً إذ جاز التعبير ولكنها تحمل دلالة إصرار في قوله سبحانهُ

﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلَا ٢٣ ﴾[22]

إن النتيجة العسكرية في تلكما المعركتين مختلفة , معركة انتصار بدر ومعركة خسارة هي أحد على المستوى العسكري , أما على المستوى المعنوي فهما متماثلتان إذ أن تلك الحادثتان تؤكدان على إصرار المسلمين على التصدي والثبات على المبدأ . إذن لا ينقصنا شيء في الحاضر إلا تمسكنا بماضينا على العكس من أسلافنا الذين بقوا على مبادئهم سواء انتصروا عسكرياً أو خسروا وبهذا تكون بدر وأحد ذاتا دلالة واحدة , وهما يحملان نفس الدلالة وإن اختلفتا في النتيجة , و الانتصار والانكسار على وفق منظور الشاعر سواء بالنسبة لأجدادنا المسلمين المهم أن يبقى المبدأ قائماً وتبقى النفوس متعلقة بالطموح والانتصار سواء خسرت أم ربحت المعارك على العكس من حاضر الأمة فهم لا يفكرون لا في الانتصار ولا في الانكسار لأن غياب المبدأ حطّم همهم وعزائمهم وفي إطار نظرة الشاعر إلى الأمة العربية والاسلامية يستعين ويتكئ على المعطيات الدينية ليقول :

يـــا ناسُ إنّ زمانَ الناس هَرْوَلَـــةٌ

مـــا بالُ أيامِـكم سبْتٌ بلا أحَـــدِ ؟

إذ يكشف الشطر الاول المفارقة بين العالم بحركته وتطوره على العكس من الأمة العربية الاسلامية لسكونيتها , نعم إنهم جنس من الناس وعليه يجب أن يحذوا حذوا الآخرين ولكن هذا

(22) سورة الاحزاب , الآية : 23.

لم يحدث فتكرار كلمة الناس المقصـــود بهِ لناس العالم أجمع غير العرب في الأولى اما في الثانية فهو يقصـــد العرب وتكرارها يوحي أن العرب هم من جنس الناس ولكنهم مختلفون اختلافاً تاماً ولهذا يسـأل بالصـيغة الاسـتفهامية (مابال، أيامكم سـبتٌ بلا أحدٍ ؟) ليحيل هذا الشـطر ذاكرة المتلقي إلى السبت اليهودي ولكن هناك اختلاف بين سبت العرب وسبت اليهود فسبت اليهود يوم وينتهي ليبدؤا فعالياتهم الحياتية بعدها أما سبت العرب فهو سبت أزلي يوحي بهذا أسلوب النفي (سـبت بلا أحد) إنه سـبت سـرمدي وفي هذا نلمح انكسـار الشـاعر تماماً فهو يأس من تغيير الأوضاع عند العرب المسلمين لأن الناس يهرولون , والهرولة ليست المشي إنهم مسرعون ليحققوا غاياتهم على العكس من الإنســان العربي الســكوني الذي لايبدي حراكاً ولا يطمح للتخلص من التخاذل والتواكل على عكس الشخصية العربية الإسـلامية في الزمـن الماضِي علـى العكـس من الشاعر الذي لا يزال متمسكاً بمبادئه التي استقاها من المبادئ الإسلامية إذ يقول :

مُحمّـــديٌ دمـي صيغتْ مبادئُـــهُ

مـــن سـورة الفتح والإنـسان والبلـدِ

فتقيد لفظة محمد بياء المتكلم يؤكد تمسـك الشـاعر بالمبادئ الإسـلامية فهو لا يعتقد بأي مبدأ غير مبدأ محمد (ص) وهذا المبدأ تشكل من سور القرآن الكريم الثلاث (الفتح , الإنسان , البلد) ولعل في مثل سـورة البلد دلالة على قداسّـة بغداد وتمسـك الشـاعر بها إذ أن الله سـبحانهُ وتعالى يقول :

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ ﴾[23]

فالبلد المذكور في القرآن الكريم مقدسّ والشـاعر يدرك إذا جاز التعبير إن بغداد تحمل صفة قدسّـية فهي ليست بلداً عادياً فإحالته للآية القرآنية جعلت هناك مماثلة بين المقدس مكة المكرمة والمقدسّة بغداد وفق منظور الشاعر ولهذا لا يتزحزح عن مبادئه ولا يحيد عنها .

الخاتمة :-

من خلال قرائتنا لقصـيدة الشـاعر جاسـم محمد جاسـم " قميص بغدادي لعالم أبيض العينين " تبين لنا أن الشـاعر أحياناً يتناص مع المعطى القرآني من خلال حضـور عبارات وجمل قرآنية في نصهِ وأحياناً تحضر أسماء السور فقط كالإنسان والبلد لغاية فنية , الأمر الثاني كذلك كان الشـاعر أحياناً يجعل نفسـه بدل شـخصـية قرآنية كما في قولهِ : " وصـوت يعقوب رغم القصـف يهتف بي " إذ حوّل دلالة المعطى القرآني تحويلاً تاماً , أما تناصـاته عموماً مع القرآن الكريم فقد كانت تناصـات واعية هذا من جانب , من جانب آخر فقد كان ينحرف عن المعطى القرآني فقد استفاد من المعطيات القرآنية لتجسيد رؤيتهُ من العالم المحيط بهِ وحسّهُ المأساوي تجاه ما حلّ في العراق نتيجة الحرب عام 1991 م .

([23]) سورة البلد , الآية : 1 , 2 .

المصادروالمراجع :-

1- الخطاب الروائي , مخائيل باختين تج : محمد برادة , ط1 , دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع القاهرة , 19787 م.

2- الرواية والتراث السردي , سعيد يقطين , 2006.

3- المبدأ الحواري , دراسة في فكر ميخائيل باختين , تأليف كزفيتان تودوروف , تج : فخري صالح دار الشؤون الثقافية (آفاق عربية) , ط 1 , 1992م.

4- المرجعيات الفكرية والفلسفية للديانة الزرداشتية وتأثرها بالديانات السماوية

Ias<https://iasj-net

5- تحليل الخطاب الشـــعري (اســـتراتيجية التناص) , د. محمد مفتاح , ط1 , دار التنوير للطباعة والنشر بيروت لبنان – 1985 م.

6- تداخل النصوص في الرواية العربية , حسن محمد حماد مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب (د.ت).

7- حســـن الأخذ والتناص بين القديم والحديث , عبد الله ايت الاعشـــير المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب , مجلة عالم الفكر مجلد (31 ع 3 لسنة 2003 م).

8- دلائل الاعجاز عبد القاهر الجرجاني تصحيح وشـرح وتعليق أحمد مصـطفى المراعي مراجعة محمد عبده , المكتبة المحمودية التجارية القاهرة ط2.

9- ديوان ســماء لاتُعَنّونُ غيَمتها للشــاعر جاســم محمد جاســم العجة دار كنوز للنشــر والتوزيع 1436 هـ الطبعة الأولى 1437 هـ/ 2016م .

10- صـحيح مسـلم , تأليف : مسـلم بن الحجاج النبسـابوري , تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي مطبعة عيسى البابلي الحلبي القاهرة , ط 1 , 1955.

11- عيار الشعر ابن طباطبا العلوي (ت 322هـــــ) تحقيق وتعليق : محمد زغلول سلام المعارف باك الاسكندرية د. ت .

12- ما هية التناص , عبد الستار جبار الاسدي , مجلة الرافد ع 31 لسنة 2000.

13- مدخل إلى علم النص , ومجالات تطبيقهُ , محمد الاخضـــر الاصـــمعي منشـــورات الاختلاف , ط1 , 1429 هـ - 2008 م.

14- مسرحية أوديب ملكاً : سلوفوكليس رابط ملتقى طلاب جامعة دمشق .

jamaa.Net

books. Library/https:/jamaa.net

15- مفهومات في بنية النص (اللســانية , الشــعرية , الاســلوبية , التناصــية) , مجموعة باحثين (جورج مونان , ترتسمان – سموفيل) تج : د. وائل بركات , ط1 دار معهد الطباعة والنشر والتوزيع سورية – دمشق 1991م.

16- مملكة النص , التحليل السيميائي للنقد البلاغي الجرجاني أنموذجاً , د. محمد سالم سعد الله جامعة الموصل عالم الكتب الحديث أربد – الأردن , ط1 , 2007م.

17- منهاج البلغاء وسراج الأدباء , أبو الحسن حازم القرطاجيني تج : محمد بن الحبيب بن الخوجة , تونس 1966.